المحاضرة الثامنة/ النقد الثقافي في الثقافة العربية:

يعتبر عبد الله الغذامي حسب الكثير من الدراسات أول من أدخل النقد الثقافي للثقافة العربية وذلك من خلاله كتابه الغني عن التعريف **النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية**– والذي صدر سنة 2000 وقد دعا الغذامي في كتابه هذا إلى **موت النقد الأدبي** وتأسيس مايسمى بالنقد الثقافي باعتبار أن **الجماليات** على حد قوله التي يرتكز عليها النقد الأدبي لم تعد تنتج لنا إلا مقولات **الفحل والطاغية والكذاب** التي اشتغلت في الثقافة العربية كمقولات إقصائية تؤسس لما هو مركزي وتزيح ما هو هامشي وتحاول طمسه، ولم يسلم من هذه المقولات على حد قوله لا الشعر ولا النثر فكلاهما كان على مد العصور يتغذى من هذه المقولات وقد انطلت على كليهما لعبة الجمالي، وعلى الرغم من الحراك الثقافي الذي خلفه هذا الكتاب في مجال الدراسات الثقافية داخل ثقافتنا إلا أنه لم يسلم من الانتقادات التي تراوحت بين الترحيب بمشروعه ورفض أفكاره فسعيد علوش مثلا يقول في كتابه نقد **ثقافي أم حداثة سلفية** "بذل الغذامي مجهودا كبيرا لتحصيل نتائج سلفية هزيلة" ويقول عبد القادر الرباعي في كتابه **تحولات النقد الثقافي** "إن هذا الصراع المحتدم في المجتمع الغربي مازال ضبابي الفكرة لذا لا أجد أنه من الحكمة أن نتسرع فنميل مع الجديد حيث مال، كما فعل الدكتور عبد الله الغذامي" ويرى البعض الآخر أن الغذامي في كتابه هذا وفق في الجانب التنظيري الذي جاء محكما وعنونه **بذاكرة المصطلح** حيث تحدث عن مجهودات ودور بارت في هذا المجال من خلال كتابه sz وكذا ماقدمه فوكو في مجال النظرية الثقافية من خلالها مفاهيمه عن الخطاب وأيضا مجهودات جوناثان كولر وإدوارد سعيد ومدرسة برمنغهام وريتشارد وهوغارت وغيرهم، ومع توفيقه في استحضار هؤلاء المؤسسين إلا أنه فشل في تنظير هذه المقولات في ثقافتنا ولذلك نجد كتابه بعيد كل البعد عن التأسيس لما يسمى بالنقد الثقافي في الثقافة العربية ويقول في هذا الصدد عبد الله بن أحمد في مقاله **النقد الثقافي سؤال المرجع وإشكالية النسق** «ويبدو أن التأسيس هنا فعل يبحث عن الذاكرة الاصطلاحية

التي حصرها الغذامي غالبا في الاتجاه نحو الممارسة النقدية الغربية وكان من سوء حظ هذا الاتجاه التنظيري أن غيّب جهود الذات العربية التي لم تحظى إلا بإشارات سريعة حيث تأتي إشارات تراثية مهمة لدى الغذامي، لكنه لم يشأ أن يوظفها توظيفا يحفظ له جهده الريادي في تنظيم هذه الرؤى»[1].

وتجدر الإشارة أن هناك اختلافا ليس فقط فيما طرحه الغذامي من أفكار حول النقد الثقافي بل هنا اختلاف كبير في تسمية هذا الوافد الجديد إلى ثقافتنا فمنهم من يرى أن نسميه النقد الثقافي وآخرون كعبد الرحمان عبد الله في كتابه النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي يقترح أن نسميه **بالنقد الحضاري** ويستند في هذا على ما طرحه البازعي حين قال «إذا فهمنا النقد الثقافي بمعناه العام وليس بالمعنى مابعد البنيوي الذي يقترحه ليتش وأرينا الثقافة بوصفها حضارة فإنه يمكن الحديث عن كثير من النقد الذي قدمه الكتاب العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بوصفه نقدا ثقافيا أي بوصفه استكشافا لتكوين الثقافة العربية وتقويما لها»[2] ولهذا يغدو النقد الثقافي الحضاري كما يسميه نقد قائم على الوصف والتحليل للبنى المجتمعية ومحركات الثقافة وبناها الذهنية والعمل على تقويمها وتقديم البديل لها للدفاع عن الهوية والوطنية التي تتعرض للتفكيك من قبل الآخر الغربي، ويعنى أيضا بدراسة أسباب التسلط وأثر الهيمنة السياسية والفكرية في الخطاب الفكري العربي، وبهذا المفهوم تدخل كل من دراسات طه حسين والعقاد وجماعة الديوان وحركات التحرر التي قادها السياب ونازك والبياتي والتي تمثل حركات ضد النسق الذكوري وكذا ضد سلطة المؤسسة ضمن ما يسمى بالنقد الثقافي الحضاري وحتى ما قدمه أدونيس وغيره من النقاد، ونجد نقاد آخرين كمحمد مفتاح يطلقون على هذا النشاط أي النقد الثقافي **النقد المعرفي**، في حين نجد آخرين يطلقون عليه اسم **النقد اليساري/الماركسي التوفيقي** باعتبار أن النقد الثقافي والدراسات الثقافية في حقيقتها معطى يساري ماركسي تبلور عبر تحولات

---

[1]- عبد الله بن أحمد: سؤال المرجع وإشكالية النسق، ص176.

[2]– ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص220.

اليسار في أروبا وأمريكا حتى أصبح هذا الاتجاه نشاطا معرفيا يمارس لدراسة النصوص بوصفها حداثة ثقافية لها امتدادات متداخلة ومتشابكة تتحرك عبر خطاب حاضن لها، وقد توسعت فيما بعد النصوص المدروسة وإلى ماهو يومي/شعبي ومبتذل وهامشي مع التأكيد على الثقافة الجماهيرية ووسائل إنتاجها... وتجدر الإشارة أيضا أن النقد الثقافي في ثقافتنا لم يقتصر فقط عند ما قدمه الغذامي بل يمكن القول أن كتابات عبد الله ابراهيم وكذا نادر كاظم وإدريس الخضراوي وفريال غزول وسامية محرز وغيرها تدخل كلها ضمن هذا النشاط فقد امتلك هؤلاء استوعبا كبيرا لما قدمه النقد الثقافي في الثقافة الغربية وحاولوا نقله الينا وتطبيقه على مختلف النصوص الأدبية والثقافية.